روافد المدى

استـــخـــدام المثـــــقف

عباس منعثر عنيد

لزمن طويل، استخدم المثقفون، للتنوير والتفلسف والامتاع، بشيء من الاستقلال، لغة الكلمة وجوهرها التأمل بصيغة الكتابة للتوغل في المناطق الاكثر ظلامية من النفس البشرية، حيث، التأمل: كرؤية متأنية للعالم تتحايث مع غيرها مع استقصائها للفرادة،والنقض: لغة التامل تتفكر في نفسها وقد تنقضها، والعمق والتركيبية: لربط الاشياء بعلاقات معقدة هي سمة الوجود البشري، والعلمية: عدم اللجوء الى التعميم المخل او الحكم النهائي والنظر الى العالم نظرة موضوعية

—تجريبية والابتعاد عن الاختصار لانه قتل للفكر، كان في ذلك الغاء للوجود الشخصي لحساب حضور الكلمة اذ يقوم المثقف بتمحيص ومراجعة واستكناه المفاهيم والاراء التي يطرحها، وحينما يؤسس افتراضاً فأنه يقلبه من جوانبه المختلفة كل ذلك والوقت ملكة تماماً وليست هناك تحديدات تجبره بحيث يمكن ان تتطور الفكرة الى

مقالة وهذه الى دراسة وهذه الى كتاب بشكل طبيعي من غير قسر الوقت او الحجم، والشرط الوحيد كفايةالمادة والمامها بالموضوع.

واستقصاء للمثقف فانه يتحرك ضمن ثلاثة اتجاهات: مسعى مادى يكسب فيه قوته مسترزقا من حنجرته او قلمة بغض النظر عن الحقيقة، بل حسب رياح جهة التمويل، ومسعى شهرة، ومسعى تنويري (دفاعا عن قيم الجمال والابعاد الانسانية)، ولاباس احيانا في ان تتداخل وتتشابك هذه المساعي في تحرك واحد مسنود من جهات تحاول امساك وجودها السياسي من منتصف العصا او الموازنة بين المطلوب (من جهة تظر الشارع) والمفروض (من قبل القوى العالمية). فبينما تعتبر احدى الدول من اكبر القواعد الامريكية في الشرق، تهاجم هي نفسها عبر فضائياتها امريكا وتعتبرها اس الظلم والفساد العالمي. تريد هذه الفضائية تبرير الموقف السياسي للدولة الممولة وتعطي الانطباع النضالي لها، لذا تلجأ الى اكثر الشعارات العربية قبولا من الوسط الشعبي: (تبني الاسلام، نقد الغرب تبني القضية الفلسطينية والعداء لاسرائيل)، كاستجابة الى النزوع العام الذي يتطلب هذه الاساسيات ولا اتهم بالخيانة والعمالة في القاموس المعروف.

ومن ثم ممول من جهه الرأسمال الغربي لمهاجمة جهات معينة في الرأسمالية الغربية لهدفين: اختلاف قوى الصراع في الغرب (اتجاه ضد اتجاه)، والثاني: شكل من اشكال الافيون الجديد تتم فيه مهاجمه الغرب سطحيا لتمرير الجوهري ولتخفيف الغضب العالمي وتشتيت بؤرة الاهتمام الى مناطق صغيرة توهم بتعادلية الاطراف. الشفرة الاعلامية هنا توهم بانها تجرح الغرب بينما هي في الحقيقة تعمق جرح الاخر (العربي) وتوهمة بالشفاء.

فضلاً عمن يستجيب الى موضة الاعلام، محاولة في كسب شهرة عالمية موازية للشبكات الكبرى كصورة من صور عقدة الشرقي تجاه الغربي، فالذكر العربي يسترد ذكورته حين يوغل في المهبل الغربي لرد الاعتبار وتخفيف اللطمة الحضارية التي يتعرض لها (المتخلف) امام (المتقدم) في هذا النوع محاولة لتفتيت المركزية الغربية بتصوير الذات كقوة ندية للاخر والوسيلة (الفضائيات) بوجه التحرر والسبق الصحفي وفخامة الانتاج وكشف الحقائق والاستناد الى المثقف واستغلال موقف التقليدي من الراسمالية، بحيث تقف الفضائيات ممثلة للشرق المنهزم ضد كل الغرب الاستعماري هذه المرة وليس الكافر بلغة الايدلوجية الدينية.

قد يتفق المثقف مع الاعلام المرئي في اطروحة جوهرية : الغرب يعاود استعمار العالم بطرق جديدة وزوغانية (امركة لعالم ذي القطب الواحد)، وعليه ان يكشف الحقائق ، الغرب - سياسة - ممثلاً لقوى الظلام والاستعباد ولابد على كل من يحس بمسؤولياته تجاه العالم (موقف سارتري) ان يقول كلمته واضحة واضحة لصد الهجوم الشرس ضد الانسانية / شاهد عصر حسب كلاسيكيات التعبير الحر.

لكن المثقف يقف فارغا من كل سلاح، والتوازن عسير للغاية واهداف الشفافية الاعلامية. فقد لا يتفق مع الجهتين، وليست المسالة عنده قوى خير خالص وشر خالص، كلا الطرفين يعانيان عنده من خلخلة بنيوية جوهرية، لكنه يسير وفق منطقه التنويري: يحاول ان يستخدم قلاع ووسائل الظلام (اي الاعلام) لفضحة، فلم يبق له امام ضخامة الصورة قدرة على التاثير الا اذا دخل مضمارها، فقد وعى اخيرا ان العالم (صورة) ولاتفيد عزلة الحكيم النبيل في شيء، عليه اذن ان يستبدل وسائله القديمة (الكتاب كديناصور ينقرض) بالتلفاز (الفضائيات). فهل طوع المثقف الالة الاعلامية الضخمة ام تحول الى زيت جديد لتبرير قوى الظلام المختلفة؟

لتحقيق الغرض من استخدام المثقف تراهن الفضائيات على جملة اعتبارات.. من بين اهمها اختيار المثقف الذي تعتبره محققا لاغراضها، مطابقا او مقتربا من جهات نظرها حسب سلم اولوياتها. تختار الرجل الجماهيري، او ذلك المعروف بعصيانه للاعراف او الدين.. تحاول احيانا ان تجمع النقائض ليكون ذلك مصداقا لمنبرها (الحر). تضع الفضائيات المثقف امام وهم حريته الكامل في التعبير وتضعه هو وفكره امام الناس عاريا كي يعري قوى الظلام دون ضغط ولا اكراه ولا تسييس، تدعم اولئك المتحركين بمسعى مادي وتحقق لذلك المتحرك وفق مسعى الشهرة وتحقق للتنويري فرصة لا يحلم بها بقول كل ما عنده (شفاهة) ومباشرة الى جمهورة وهو ما يحققة كتابه في بضعة اعوام.

يحاط المثقف بالكاميرات والاضاءة وجمال وفخامة الاستديو. فتتقيد قوة الطرح، وتتحجم الاطروحات يتحول المثقف الى منظور اليه ومراقب من قبل الاخر (الكاميرا هنا اي الجمهور العريض) وذلك يستدعي استعراض قوة الفرد، حضورة الشخصي، رغبته في نيل الاعجاب، مراعاة العرف الاجتماعي والعقائد، والمحافظة على النجومية باعتبار (تحول المثقف الى نجم سينمائي يتمركز حول ذاته) هذا من جهه، ومن جهه اخرى ولمحدودية الوقت واذعانا لمتطلبات الاعلام المرئي فان المثقف سيقوم بالاختصار والتعميم والذهاب مباشرة الى القصد دون تعرجات الفكر الجدلي - التركيبي. سينطق بالشفهي: وهي عنوان التواجه القديم لغة الكتابة ولغة الكلام التي تعاني عادة من (المفضوحية) والمباشرة عكس لغة الكتابة المتعمقة. الكلمة لاتسترد ولاتعاد صياغتها ولايمكن بعد ان تنطلق من الحنجرة، ان تشطب (يقول بوسكية: كونوا طيبين مع الكلمات، فليس لهن حق في التراجع) الجملة الشفهية تعاني من التبسيط ومن المباشرة بينما تنحو لغة الكتابة الى التركيبية. لاتعاني لغة الكلام من جدل ذاتها كما هي الكتابة حيث تنقض نفسها بنفسها احيانا، عملية التنقيح —احدى ركائز التأمل في الكتابة —غائبة في الكلام الذي يقود الى لذة الانشاء والنحت مع ضيق افكار وعد اتساقها، ونتجية لضغط الاعلام الجماهيري سيستخدم المثقف الجمل البسيطة بلغة يسهل فهمها، وهنا يفقد احدى اهم سماته: العمق، او الغموض (اي تعدد طبقات المعنى تبعاً لوجوه النظر الى المسالة الواحدة بتعدد المصالح والعقائد والتوجهات الفكرية). ونتيجة ضغط الاخر (مقدم البرنامج او الضيف او الجمهور عندما يشارك هاتفيا) سيقتصر الموقف على الجدال وليس الحوار التبادلي على اعتبار منافسة الديكة ونشر الغسيل الذي تمارسه الفضائيات تبعا لروح العنف والشجار التي تجذب الشارع للمتابعة، سيتخلى المثقف اذن عن لغة التامل وسينجر الى لغة الشارع.

تستخدم الفضائيات المثقف من عدة وجوه: تستثمره كزاد ثقافي لبرامجها (العديد من المثقفين يعملون كمعدي برامج او مراسلين)، تزكي نفسها ثقافيا وتعطيها مبرر وجودها، تسند وجهات نظر مموليها بمفكرين يثق بهم الوسط الثقافي .. الخ مما ورد في خلفيات الفضائيات في فقرة سابقة.

والاخطر من كذلك كله: تظهر الفضائيات المثقف وهو ينطق بالعادي غير الدقيق واللامنطقي (اللاعرفي)، بغير سند، وقد غلب غموضه السابق وبدا عاديا لايمتلك سلطة الثقافة (اي وعي مركز للاشياء). ويرى الجمهور ان مثقفه لايمتاز عنه (رؤيويا) في شيء، والمثقف هنا لايمثل نفسه، بل هو ممثل للثقافة (العلمانية) وبذلك يعود الخطاب التنويري الى الحظيرة ويصبح وكانه (تطرف ديني) يدافع عن عقائد او اعتناقات، يتساوى عندئذ المنطق العلمي بالمنطق الغيبي والتأثير لاينال هذا المثقف بعينه (لضعف المنطقة) بل الثقافة والعلمانية والعلم وهذا هو الهدف الأخطر.. لايتم نقد العلماني كذات.. بل العلمانية والثقافة المتحررة كمرجع، فيكون للتنوير فعل عكسي.في هذا يتساوى الناطق باسم الايدلوجيا الدينية (ان لم يتميز بالتحيز واسناد الجمهور)، والايديولوجيا السياسية، او ايدلوجيا الشهرة وايدلوجيا المال، بالناطق باسم التنوير.. وما دام الكل قد غرق فلا بأس بالماء وقد وصل السطوح.هل حقق المثقف اهدافه من استخدام الصورة ام استخدمته الصورة- سياسيا واعلاميا وفكريا —حسب اغراضها الخاصة؟

وقـــفة!

عبير حسن العاني

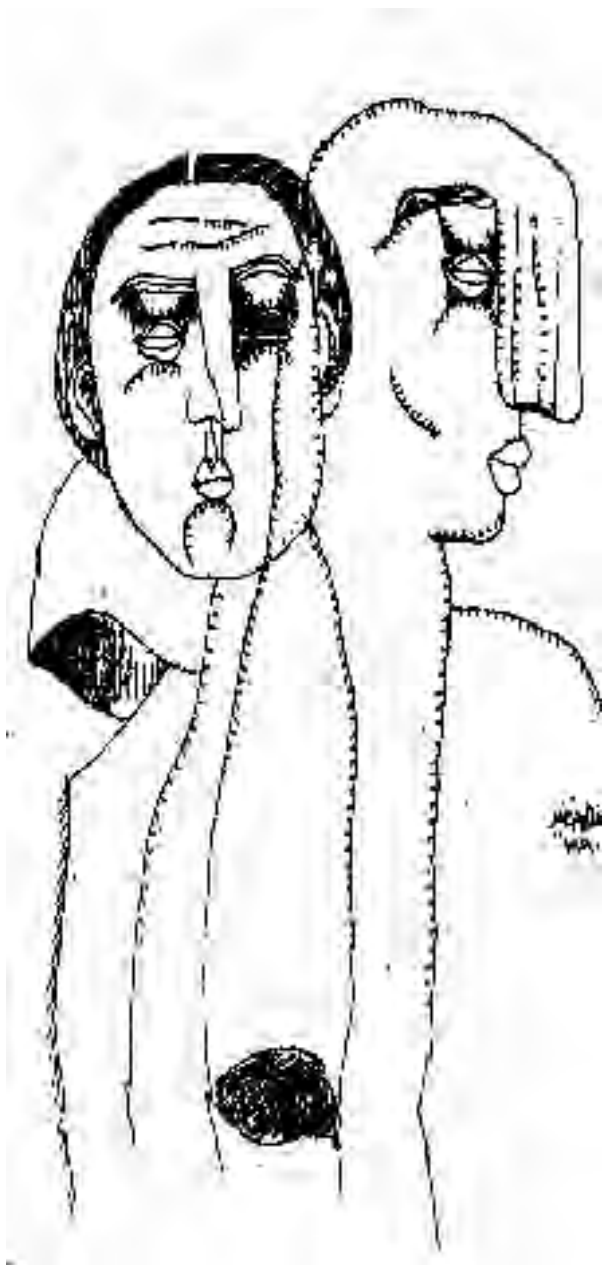

نتكلم معاً
متعطشون لدفء عواصف كانون

نختصر الحب
بفنجان قهوة
ومدفأة حنون
ونافذة ذات عيون

نختصر الحياة
بضحكة
وفكرة
وجنون

لاخاسر في الحب
كلنا في الحب،
بالحب..

سائرون الى لحظة ازلية

الاربعون

رحيم يوسف

محلقاً
حوالي طير السواد
مثلما
حلم
لأنين يدور
يراوغ
وجهك الذي
من نشيد الفواخت
حالماً
بالمواسم
عرس تأخر اكثر
مما ظننت
والقرنفل
يغري الاصابع
بالرقص
بالدوران
الفجر بارد
يجمد اطرافك الفاتنة
حالماً
بالمقاهي والناي
حانة
كأس كما الشيب
في سالفيك
تأخر
مثل موت مقزز
يزحف مثل الافاعي
يزحف
مثلي

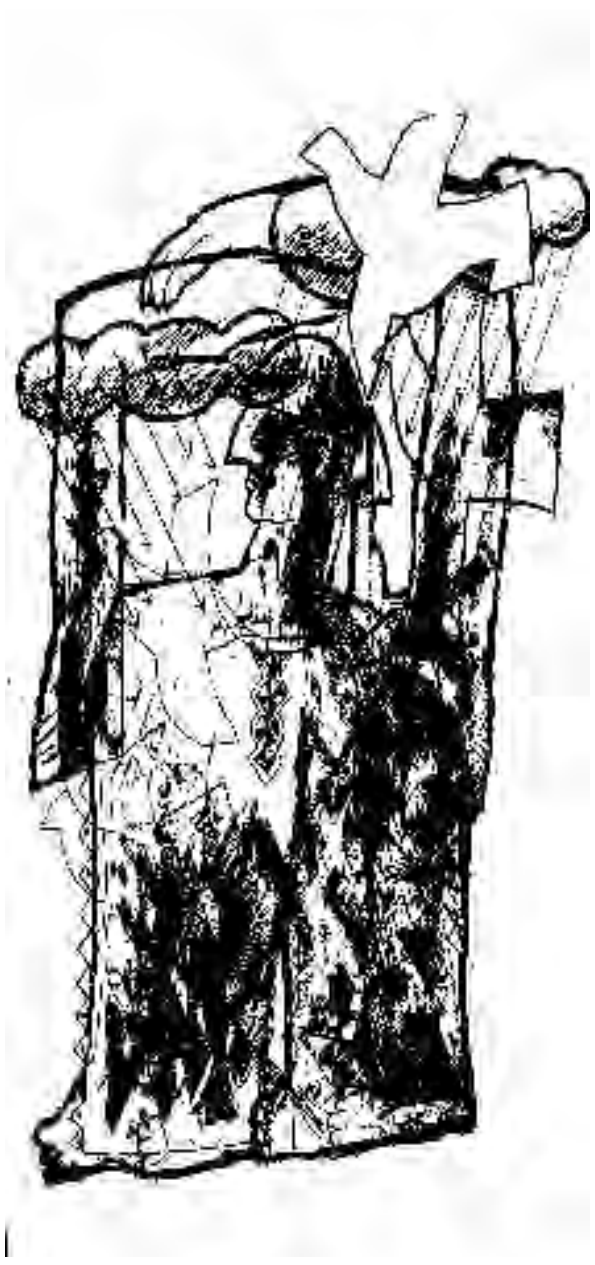

عزلة الابداع والترفع

اسماعيل قطان

(لاسلطان اعلى من سلطان الفكر، ولاشرعة اثبت من شرعة الحق، ولاقانون اقوى من قانون الابداع)

عندما كنت اقرأ ماكتبه تحت عنوان (فساد الملح) ابهرتني هذه المرتكزات الثلاثة التي ينطلق منها الشاعر الراحل (محمود البريكان) كأسس يجعل منها قواعد لروحية الثقافة عند المثقفين وهي المجاذيف التي تدفع بسفينة الثقافة حتى تبحر بأمكان في بحر العطاء الزاخر بالابداع والذي يكون خير زاد للشعوب.

ان مديات الشاعر البريكان كانت تتخطى حدود الخوف والتردد وان كان قد عاش العزلة وانس الوحدة بل قد لانغالي ان عزونا كل هذه العطاءات الابداعية في الشعر والادب عموماً لتلك الطقوس التي كان يحرص على الالتزام بها وكانه كاهن تطبع في صومعته على طقوسه اليومية.

قد يتهمه البعض من النقاد بانه كان منغلقاً بسبب عزلته التي سبح بها نفسه بيد ان المتبحر بسفره الشعري وفصول حياته أنى له ان يقول عنه ذلك.

لقد كان البريكان يعيش الحياة ويجسدها في كافة اعماله واحاسيسه وقد يتصاعد عنده الوصف الشعري للعديد من الاحداث حتى ليصعب التصور بان الذي اعطى كل هذه الحسية وهذا الدفق والصورة التي تضج بالحياة هو نفسه (البريكان) لذي يقلص دائرة الضوء عنه.

في عالمه المزين بالصمت استطاع ان ينجز العديد من القصائد التي ثبتت علو تميزه وعمق الاتقان الصوري الناطق بالواقع الذي كان يرقى الى اقرب صور الكمال والحقيقة.

لقد كان البريكان (يدعو لمستقبل اكثر عدلاً واشراقاً) هكذا يقول عنه عبد الله البريكان.

كان مرهفاً في احاسيسة حتى لكأنه لم يكن يتخاطب الا شعراً لشدة رهافته وان كان مقلاً في كلامه الا عن الادب والشعر.

لقد احسن الراحل (محمود البريكان) اختياره العزلة لان الزمن الذي شكل عالم صمته كان زمناً رخيصاً لمن كان رخيصاً بشعره وكانت هذه العزلة هي صورة ناصعة لترفعه عن نخاسة الشعر والشعراء في حقبة (مرابد المنتفعين).

لقد فرض البريكان مبدئية للشعر النظيف الذي لم يتلوث بـ(المكارم) الذليلة واقام صرحاً مكللاً بالاعتداد الانساني بكونه شاعراً حفظ ماء وجهه الشعر في زمن السقوط الجماعي لكورال (المدح والردح) المقيت.

قصة

رهـــــــــان..

مصطفى حميد جاسم

اخر ماابقته الانكسارت المتلاحقة جسد واهن لايقوى حتى على النطق مرمياً كقطعة منزلية مهملة على احد الاسرة في المستشفى يراهن على الحياة مع نفسه، لكنه يشعر ان الموت هو الحد الفاصل للتخلص من عذاباته، لماذا يجيء مرضه في زمن كسيح؟ تفاهات هذه الحياة انها تخلق مصادفات تجعل الواحد منا بلا امنيات تحصنه، حي ، ميت لايعرف ذلك، جسد ذابل وحرب مشتعلة بلا هوادة، لايريد ان يموت بسبب الحرب، موت ارحم من موت، لااحد يرافقه غير طفلة لها من السنوات خمس بيضاء البشرة ترتدي ثوباً احمر مطرزاً بالفراشات، النعاس يداعب جفنيها من حين لاخر، تعقد شعرها على شكل ذيل حصان، تقرأ ملامح الرجل المرمي على السرير بعينين خائفتين من كل شيء، من مصير مجهول ينتظر هذا الرجل، يتحامل على نفسه كثيراً ليرسم ابتسامة امل شاحبة ليشعر الطفلة بالطمأنينة ومع كل صافرة انذار، او مع كل وقع انفجار قريب تندس الطفلة بين ذراعي الرجل لتشعر بالدفء والامان وليشعر هو الاخر انه ليس وحيداً في هذا الكون الهائم بالاسرار، ليس بوسع المرء ان يختار طريقة موته، تدخل امرأة في منتصف الاربعين من العمر ، صدى صوتها وهي تتحدث مع الممرض.

- ماذا فعلت بك انياب المرض؟

قالت ذلك وسالت دموعها اغفر لي كنت مجبرة. جلست على سرير فارغ واضعة يدها على خدها شاردة الذهن، وسافرت عبر فضاءات في ازمان مضت، ايام كانت اقرب الى نفسها التواقة المفعمة بالانوثة لرجل هامت عشقاً به، عشق اصبح قصة على مر ايام خوال مضت، وبخطوات قلقة ايضاً يدخل رجل قصير القامة، اصلع الرأس يتوكأ على عصا ترن ضرباتها على البلاط توجه نحو النافذة ووقف غير عابئ بالمرأة او الطفلة او حتى بالجسد المرمي المثقل باوجاع المرض وظلت نظراته هائمة عبر افق بعيد، يبتعد عن النافذة بعد ان يصل الى مسامعه صوت لهاث لرجل بانتظار الموت كلما حانت الفرصة تغرز المرأة نظراتها في وجه الرجل اختلس اليها الرجل هو الاخر نظرة خاطفة، اذ لمح بين جفنيها دمعتين معلقتين، انتابه خوف من ذلك إلا انه مالبث ان عاود النظر وربما الهرب من خلال النافذة. كانت المراة تجلس على طرف السرير تداعب الطفلة، اما هو فقد وجد ضالته بما وراء النافذة. اثقلت رأسه فكره ربما هي فكرة بعيدة كل البعد عن المعنى العميق للشعور الانساني فجأه وجد نفسه وهو يطلق العنان لصوته ارحموه ارحموه، ردت عليه المرأة وهي تضع راس الطفلة على فخذها، كيف يرحمونه؟

تقدم نحو الجسد الممدد بلا حركة، يزرقوه ابره مميتة ليتخلص من عذاباته ما ان سمعت المرأة مانطق به الرجل حتى قفزت من مكانها وقالت بصوت غاضب، اخرج من هنا، ليس بقلبك رحمة، خرج الرجل وعيناه مجمدتان على وشك ان تنفجر منها الدموع، وجد له متنفساً في حديقة المستشفى انقضت ساعة على خروجه، عاد الى الغرفة ثانية، رأته المراة ولمحت الدموع وقد بللت وجنتيه، رمى بنفسه على حافة السرير واصوات القذائف المرعبة هنا وهناك، ارتجت الغرفة وصرخت الطفلة وفتح الجسد الممدد بعد غيبوبة طويلة عينيه الشاحبتين وتفحص من احاط بسريره وراح يفترس بوجه صديقه القديم، ابتسم واشار له ان يتقدم، تقدم الرجل والدمع ينز من عينيه كتقيح جرح غائر انحنى عليه الرجل المريض وقبله في كل مكان والصديق ينشج ودعا الطفلة لتستلقي الى جانبه، ضمها الى صدره في حين ظلت نظراته تحوم كطائر نحو المراة اهتزت اركان الغرفة مرة اخرى واصاب الذعر والفوضى ارجاء المستشفى في حين تجمدت نظراته نحو المرأة التي ظلت واقفة كتمثال اخرس، دخلت الممرضة وارسلت نظرة نحو الجسد الممدد وتعلقت ابصار كل من كان في الغرفة بتلك الممرضة وهي تدنو من السرير لتسحب بايد مرتجفه الشرشف الابيض وتغطي الجسد المثقل بالوجع وقبل ان تخرج القت نظرة اخيرة عليهم والطفلة مازالت ترقد الى جانب الجسد، في اغفاءة طفولية وانتفضت مرعوبة حين سمعت صافرة الانذار القت نظرة طفولية على جسد جدها المغطى بالشرشف الابيض، صرخت بالرجل والمرأة:
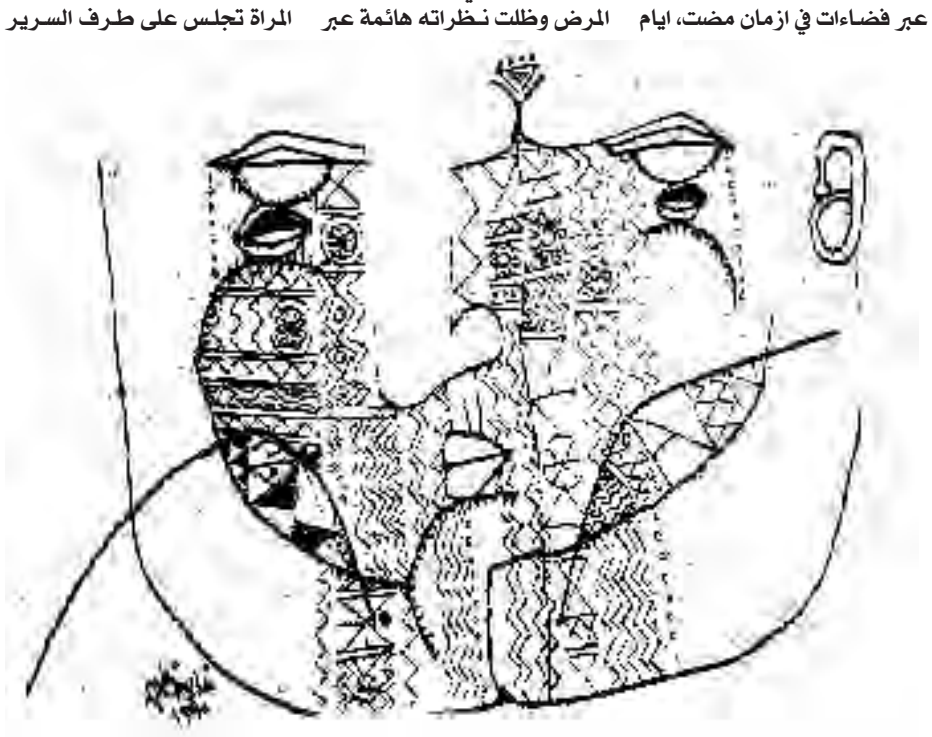
لماذا يغطي جدي جسده؟ لم يأتها اي جواب غير خطوات متعبة للرجل والمرأة وهما يغادران الغرفة، واصوات الانفجارات تبتعد حيناً وتقترب حيناً اخر، ثم سلك كل منهما طريقاً مختلفاً عن الاخر، في حين ظلت الطفلة ترقب وتنظر جدها ان يبدي حركة ما لكنه مضى الى غير رجعة.